كافر بالله قلت فلم لا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون
لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين يتربصون اما بدل من الذين يتخذون واما صفة
للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم اى ينتظرون بكم ما يتجدد من ظفر او اخفاق الم نكن معكم مظاهرين
فاسهموا لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم
عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم
وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء فان قلت
لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين
امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها يخادعون
الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع
حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الاخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة
واحلال باس ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على
الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفا نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من
نوركم كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران اى يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى
من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراءون الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله
الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به
قليل ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل
الا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا
تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت
ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيها وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني
ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس يعني اراهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق
روى ابو زيد رات المراة المراة الرجل اذا امسكتها ليرى وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرؤنهم بهمزة
مشددة مثل يرعونهم اى يبصرونهم اعمالهم ويراؤنهم كذلك مذبذبين اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤن
اى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم والمعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر
فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اى يذاد ويدفع فلا يقر في جانب
واحد كما قيل فلان يرمى به الرحوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه
وقرا ابن عباس مذبذبين بكسر الذال والمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رايهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل
وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين تارة في ذبة وتارة في ذبة فليسوا ماضين على ذبة واحدة والذبة
الطريقة ومنها ذبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى
هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود
وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان
انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص
المؤمن الدرك الاسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق
بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر

قلت

قلت لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله وتداخلهم واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم
واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون
بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله
المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من
اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلوة متعمدا
فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل
لابن عمر رضي الله عنهما ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق
وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم وقلد واعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم
ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم
وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم
به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم
وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعر يضه
للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر
متقدما على الايمان وكانه اصل التكليف ومداره الا من ظلم الا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر
المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدا بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر
بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء
للفاعل للانقطاع اى ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب
الله الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حث
على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب
اليه والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تسبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا
به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه
قوله فان الله كان عفوا قديرا اى يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله جعل الذين
آمنوا بالله وكفروا برسله وآمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى
اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها
وابتغ بين ذلك سبيلا اى طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطاوا فانه لا واسطة بين الكفر
والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا اى هم الكاملون في الكفر حقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك
هو عبد الله حقا اى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اى هم الذين كفروا كفرا حقا
ثابتا يقينا لا شك فيه فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت ان
احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رايت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا
بني فلان ولا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله لستن كاحد من النساء سوف
يؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تاخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متاخرا
وروي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)